

مناقشة

الشعر والنقاط الأخرى بقلم : خليل أحمد خليل

واضحاً بنظري ، يتلخص كما يلي : لا بد للناقد من تكوين فكرة عامة عن العمل الأدبي وذلك بواسطة الحدس . وهذا ما يتمتع به كل إنسان . إلا أن الفموض يكتنف هذه النقطة العمياء التي هي الحدس المختلفة عن التمكن . لذا لا بد للناقد أن يختار النقاط الشعرية المهمة في المؤلف وأن يعمد إلى تحليلها وذلك بواسطة عرضها والتقديم لها . فيخلق بذلك جسراً بين الشعر وفهم الشعر .

والنقد هو اجابة على السؤال كيف نقراً ؟ ماذا نقراً ؟ ما معنى القراءة ؟ ما هي علاقتها بالإنسان المكرس للتوغل ؟ . لذا كل نقد هو محاولة جانبية وغير مكتملة ، ويختلف من ناقد إلى آخر ، حسب الاتجاه والاهتمام الشخصي وحسب التربية الاجتماعية والفكرية وحسب النظرة الفلسفية ومدى النضج السياسي . إذن النقد مشروط بعدة عوامل غير متناسقة تماماً ولربما كانت في أساس اختلاف الأشخاص . وهنا نشير مشكلة أخرى لا مجال لنقاشها : هل للإنسان طبيعة وما هي ؟ أما الأستاذ صبري حافظ فيعتقد أن مقالتي « أربعة شعراء وتجديد » « فيه كثير من الظلم لهذه الدواوين وفليل من الاحترام لها » . وهذا حكم على المقال لا بد من تبريره . فهو رغم وضوحه الظاهري غامض في الحقيقة ولا يثبت تحت مجهر النقد الصحيح . فان « الظلم » تعبير ايديولوجي يستعمله كل فرد يشعر أن حقه قد انتقص . وقد نستعمله الجماعة فيتحدث حينئذ عن الظلم الاجتماعي . إلا أن مفهوم الظلم غير واضح تماماً وهو يفترض اتخاذ موقف سابق - موقف موروث غالباً - نظري نحاول بواسطته أن نحكم الواقع ، أن نتمرد عليه وأن نتخطاه - بالمعنى الهجلي للتخطي - . إلا أن هذا لا يعني أن هذا الاختيار غير خاطيء في منطلقه ولا أنه صحيح تماماً . فباستطاعتنا أن نطلق صفة الظلم على موقف عادل بنظر الآخر . لذا كنت أرجو من الأستاذ حافظ أن يعطينا مثلاً عن ظلمي . وذلك بأن يعمد إلى المقارنة بين الصورة الخاصة التي كونها عن هذه الدواوين أو عن بعضها وبين الصورة التي اعطيتها عنها في مقالتي . وكذلك هو الأمر بالنسبة لتعبير « احترام » . يحسن أيضاً أن يوضح لنا كيف نحترم العمل الفني وكيف نحقره . وكل ما أرجوه هو أن نوضح التعابير التي نستعملها فحينما يقول : « فيه قليل من الاحترام » فيجب أن يقنعنا بنظرته . ثم أن الاحترام ليس ضرورة فائمه بذاتها . فهناك أشياء لا تستحق الاحترام . وهذا لا يعني أنني لا أحمل احتراماً إنسانياً لهؤلاء الشعراء كنفس الاحترام الذي أحمله لكل إنسان في الأرض . وهذا لا يمنع أن أقول رأيي سلبياً كان أو ايجابياً . فالقضية لا تنحصر في أن نكون ضد أو مع ، بل في أن نفهم ، والفهم مشكلة مطروحة فلسفياً عند ماكس فير Weber وهي غير محلولة تماماً . ذلك أن طرفاً كثيرة في الوصول إلى الإعماق ممكنة مثل الشرح السببي ، أو التركيبي أو الوظائف الخ... ونحن نحاول أن نفهم وما نفهمه لا نزعم بأنه وحيد فريد . أنواع أخرى من الفهم ممكنة ومن الأفضل أن نكتفي هذه الأنواع لنتم بعضها البعض . فلربما كان تعليق الأستاذ صبري حافظ مهما ومتمماً لما شرعت في عمله ، إلا أنه هو الآخر يحتاج إلى توضيح وديقيق . فهو يقول أن مقالتي : « مجموعة من الاحكام العمومية المتسرعة » وأنا لا أدري إذا كان هذا الحكم متسرعا أم لا . ليس من الضروري أن يدافع الإنسان عن نفسه غريزياً كأنه يحس بحاجة خاصة للحماية الشخصية . إلا أن عليه أن لا يتسرع في الانفتاح على الآخرين وفي طريقة الحوار معهم . فلربما أغلق باباً كان يمكن التعرف منه على عالم إنساني آخر قد لا يختلف كثيراً عن عالمه الخاص . إلا أن الرغبة المثالية في الشمولية تؤدي إلى إصدار احكام جاهزة كهذه .

ثم يعتقد الأستاذ حافظ أن قصيدتي « معنة أبي الصلاء » و « عذاب الحلاج » هما أهم قصيدتين وهذا رأي شخصي . وأنا لاؤمن بالإنسان فقط بل بالإنسان الموجود في عالم محدود بشروط ثقافية وتكنيكية واجتماعية خاصة . أن وجود ناقد في مصر غير وجود ناقد في فرنسا . وأن النظرة المثالية التي تقول أن الإنسان هو الإنسان إنما حل خاطئة . ابن الفلاح الذي يدخل الجامعة في بلده يصير شيئاً آخر ، مختلفاً عن الفلاحين نسبياً : أنه يتغير ، يختلف عنهم فسي بعض جوانب التنمية ، ويتحول . والأستاذ يطالبني أن أغوص في أغوار

لعل مجلة « الاداب » تستطيع ان تبلغ غايتها حينما تفتح الباب الملق امام ناقد خاص هو ناقد النقاد . ان المحاولة بعد ذاتها ظاهرة جيدة وخطرة . جيدة لانها تساعد القراء والنقاد والكتاب ان يتفاعلوا في جو ، نظرياً ، غير محموم ، وفيه شيء من النضج الموضوعي - اذا كانت الموضوعية ممكنة - وان يدخلوا في فصل حوارى ربما افساد المشتركين فيه . فمن هم المشتركون ؟ كيف يشتركون في الحوار ؟ وما هي الغاية الاخيرة من حوارهم هذا ؟ ان المشترك الحقيقي كما يبدو لي في هذه اللعبة الخطرة لا بد ان يحترم بعض قواعدها ، وذلك بالتخلص من العداة المنهجية من ناحية ومن جعله الخاص من ناحية اخرى . المشتركون فيليون بالنسبة لقراء « الاداب » لكن المستمعين كثيرون . أما طريقة اشتراكهم في فهم الشعر وتعريفه فهي كما اعتقد ميكانيكية يخالطها شيء من العقلانية . هذا لا يعني أنني انفي عامل الوعي تماماً لكنني لا أؤكد وضوحه فيما يجري من مناقشات . واقول ان هذه الظاهرة خطيرة اذا انها تؤدي الى طريقة كلاسيكية في فهم الاشياء : لا بد من اصدار حكم على النقاط التي نعالجها ، السمر الذي نتقدمه مثلاً فتكون النتيجة سيئة ، عاجزة وغير نافذة ، ذلك اننا حينما نأخذ كتاباً شعرياً ، كتاب انسي الشاعر اللبناني مثلاً ، فيجب ان نتساءل كيف نريد ان نقراً هذا الكتاب . هل نتخلص من أفكارنا المسبقة ، ثم نبادره بروح نبيلة ، اعني بوعي تام ، أم اننا نسخر كل همنا للحقد على الكاتب فنضيق بذلك بين احكام موروثه مجدبة ونضيق القراء ونقلل من قيمة الكتاب .

ان السؤال الرئيسي يتلخص فيما يلي : كيف نقراً ؟ كيف قرأنا ؟ كيف كتبنا ؟ كيف نريد أن نقراً وان نكتب ؟ هذه السلسلة من الاسئلة نضعنا أمام امر واحد : كيف نختار أي كيف نستخدم حريتنا ؟ والاختيار مرتبط اساساً بحياتنا وارتباطاتها وتبادلانها ، بمستوانا الفكري واهدافنا الإنسانية . لكن مهما وضحت أهدافنا ونضجت أفكارنا نبقى غير محدودين . وان اصدار حكم نهائي على أي عمل يعني أننا جمدناه في الزمن . وهذا ما ينطبق على العمل الأدبي . فنحن حينما نتناول « ماضي الأيام الآتية » لانسي الحاج ، فنحسن نعرف ان هذا الكتاب ابن مرحلة زمنية محدودة وهو ككتاب لن يتطور في الزمن ، إلا ان انسي الحاج سيبتور اي سينتغير . لذا كانت ضرورة النقد . فنحن لا نقد الحجر . لكنه حين يصير نمثالا نقوم بنقد فني لمهارة النحات . ونحن في الشعر لا ننتقد الكلمات - الوسائل - ولا انسي الحاج شخصياً ، ننتقد مهارة انسي الحاج في مرحلة زمنية معينة . إذن عندما انتقد كتابه كجزء : ليس من الضروري ان انكلم عن كل كتاباته . وأنا كناقداً لي حق الاختيار في الالتحاح على نقطة دون أخرى . وأنا بعيداً عن كل صراعات العصر الرومانسية حول نوع الكلمات وطريقة رصنها عامودياً أو ثورياً أو بحرية ، بعيداً عن كل اضطرابات العصر في فهم الشعر ، أحاول ان استجلي الإنسان الصانع داخل وعلى حدود أو خسارج هذا الخضم الجدلي . انني أنطلق من فكرة الرائد هيرافيلطس الذي يقول : « الجدلية هي صراع المتناقضات فحيث هناك حركة هناك تحول . لكنني أبحث عن نفسي ضمن هذه الحركة » . والواضح أنني حاولت في مقالتي « أربعة شعراء وتجديد » أن أثير بعض جوانب التحول لدى البياتي والحاج خاصة ، وان أتوغل في جبلة الإنسان - اذا كان له جبلة - محاولاً ان أرى شخصية الإنسان الاخيرة . ولربما كان منهجي غير تاريخي وأنا لم أقل انه كذلك . إلا ان لي منهجاً

الا ان مهمتي لم تكن قائمة على عقد مقارنة بين انسي والادب الفرنسي. ربما كان ذلك يؤدي الى افكار مقالي . الا انني لا اؤمن منطقياً بضرورة مثل هذه المقارنة اذ انها عديمة الفائدة وخاصة ان شاعرا مهما كانسي هو زئقي ولا يريد ان يكون الا نفسه ويرفض ان يرى ظلا له في العالم . هذه هي حقيقة الشاعر الاخرى المنبثقة في نقاطه الخاصة . اما ان تكون الفاية من مقالي هي الحديث عن التجديد فهذا امر غير وارد . فانا اقول « بجديد » وهنا ليست القضية قائمة على اللعب بالكلمات ، بل على فهم الكلمات . التجديد تعني الفهم العام لحركة التحول . وتجديد . تعني الاشارة الى نوع خاص محدد من طريقة في التحول . اما ان يكون تعريفي للتجديد مدرسيا ، فيلزمنا ان نتوقف حول كلمة « مدرسي » لمناقشتها . فانا انطلق من نقطة خاصة : الفن لا تاريخ له . الا ان الزمن مهم في حركة الفن . لذا فمراقبة التجديد هي مراقبة للتحول التركيبي والتعبيري للعمل الادبي خلال فترة زمنية محددة . فهل هذا هو الفهم المدرسي للتجديد ؟

واما ان يكون مقالي مفككا ، بسبب فهمي للتجديد فهذا خطأ . وخطا ايضا الاعتقاد بانه كذلك لافتقاري الى منهج عملي في النقد . ولكنه عائد الى كون الاعمال الاربعة مفككة اساسا . حتى ان القصيدة الواحدة مفككة وبعض الاحيان محطمة وميتة - اي غير شعرية - . ولم أقصد ان ابني هيكل واحد لجميع الناس ، بل غايتي كانت قبل كل شيء غير ايدولوجية ، رغم ان الايدولوجيا تؤثر على توجيه التركيب النفسي والاجتماعي وتغييره . غايتي كانت ملخصة في رؤية الهياكل التي شيدها غيري والاشارة اليها واضاعتها حيث يجب ، بعد فهمها . ربما كان هذا تصورا خاطئا لعملي ، لكن هذا هو ما فصدته بصدق . والصدق يحتاج الى تعريف . واعني انني بقيت على علاقات ثابتة مع افكاري التي كونتها سابقا عن تصوري لهذا المقال رغم تطوري النسبي في الزمن خلال شهرين . الا ان التطور لا يجرف كل شيء . والتغير الجذري غير موجود في الفترة القصيرة .

خليل أحمد خليل

ليسون

عذاب الحلاج . فبالله اين هو الحلاج حتى اغوص في افواره ؟ ان الحلاج قد وصل الينا عبر شعره وكتاباتنه ونحن نختلف في فهمه ولعل الاستاذ صبري حافظ يعتقد انني لم اسمع بالحلاج لان فرنسا بعيدة عن الشرق . ان ادونيس هو اول من كتب شيئا عن الحلاج : مرثية الحلاج في كتابه « اغاني مهيار الدمشقي » ثم انا ثاني من كتب عن الحلاج الذي هو انا في القرن العشرين . قصيدة ظهرت عام 1962 بعنوان : « الحلاج وبئر المسرة » في مجموعتي « الصوت الاخر » . فنرجو من الاستاذ الكريم ان يوضح لنا ما هو عذاب الحلاج السذي لم نصل الى استقصائه في شعر البياتي ؟

اما فيما يتعلق بانسي الحاج فهو شاعر لبناني مهم جدا ، يملك كل روحية الشاعر وتطلعاته . وهذا رأي شخصي . الا ان نقدي كان موجها لبعض نقاط بدت لي مهمة في شعره . اما ان يكون انسي قد تأثر بهنري ميشو فهذا امر مفلوط . انسي انسان لا يستطيع ان يقلد . ان التمرد هو حقيقته الوحيدة - سواء كان سلبيا او ايجابيا - . واما مشكلة البحث عن اصول قصيدة النثر فلم يكن واردا في تخطيطي لهذا المقال وقد اعتذرت عن ذلك واشرت للقارئ ان باستطاعته مراجعة مقدمة « لن » لانسي الحاج او مقال ادونيس عن قصيدة النثر . وباستطاعة القارئ ان يراجع كل ما كتب بالفرنسية عن قصيدة النثر عند رامبو وسواه وخاصة « نقد الشعر من رامبو الى السريالية » او مراجعة كتاب « الفن الشعري » بالفرنسية . الا ان مقالي لم يكن مكرسا لمعالجة قصيدة النثر أبدا . اما الاصول التي نهل منها انسي الحاج فهي غير موجودة حسب الفهم الايدولوجي لعنى الناشر . صحيح ان انسي الحاج يقرأ الشعر الفرنسي كسواه من المنفتحين على العالم الغربي الا ان له طريقته الخاصة في فهم الاشياء وما يبحث عنه غير واضح تماما نظرا لانعدام الخطة العامة في حياته - الخطة السياسية او الثقافية . الا انه يرمي بحق الى توسيع دوائر الحرية المتخلفة والنهوض - ربما بطريقة مختلفة عن محاولات اللتزمين العرب - بالانسان في بلادنا . ربما كان انسي اقرب الى ارتو منه الى ميتسوفينا .

كتاب حتم الاولياء

تأليف

الشيخ ابي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق

عماد اسماعيل عبي

عضو المركز القومي للأبحاث العلمية في باريس

شعبة الحضارة الاسلامية

يطلب من المكتبة الشرقية - ساحة النجمة - بيروت

